لفظة القرآن ودلالاتها في سورة الإسراء
دراسة تطبيقية

دكتورة/ رقية بنت محمد سالم باقيس
أستاذ مساعد – قسم الدراسات القرآنية
جامعة طيبة

الملخص

عنوان البحث: لفظة القرآن ودلالاتها في سورة الإسراء.

أهداف البحث: التعريف بسورة الإسراء، وبيان مقاصدها، وموضوعاتها. والوقوف على المواضع التي تكرر فيها لفظة القرآن، وبيان المعاني الخاصة بكل موضع، وبيان سر تكرار هذه اللفظة في هذه السورة بشكل خاص، دون غيرها من السور.

خلاصة محتويات البحث: اشتمل البحث على ثلاثة مباحث؛ الأول: في تعريف القرآن لغة واصطلاحا، الثاني: التعريف بسورة الإسراء (أسماؤها، نوعها، عدد آياته، مقاصدها وموضوعاته، المناسبات فيها) الثالث: دراسة لفظة القرآن في سورة الإسراء، وقد جاء في ثمانية مطالب؛ القرآن كتاب الهداية الأقوم، القرآن كتاب بيان التوحيد وتفصيل الشريعة، القرآن حماية للنبيﷺ وإبعاد للكافرين عن الانتفاع به، القرآن كتاب تحذير من الفتن، القرآن كتاب بيان لأحكام الدين، القرآن كتاب شفاء للقلوب والأبدان، القرآن كتاب تحد وإعجاز، القرآن كتاب حق نزل بالحق وكتاب علم ودعوة وعبودية لله.

أهم النتائج:

بعد استعراض دلالات ومعاني لفظة القرآن في السورة؛ تبين أن تكرار لفظة (القرآن) لحكم عظيمة، وفي اظهار الاسم هذه اللفظة دليل على أهمية القرآن والتنويه بشأنه في السور المكية والمدنية، وقد تضمن تكرار هذه اللفظة في سورة الإسراء معاني عظيمة من أهمها؛ أن القرآن كتاب هداية وبيان للتوحيد وتفصيل للشريعة، وتعظيم لجناب النبيﷺ، وتحد وإفحام للمشركين، وعلم ودعوة وعبودية لله عز وجل.

الكلمات المفتاحية: لفظة– قرآن– تكرار– الإسراء – دلالات.

Abstract

Thesis Title: Quran Term and Its Significance in Surat Al-Israa

Dr. Rogaiah Mohammad Baqais

Research Objectives: Introducing Surat Al-Israa, manifesting its purpose and topics. Moreover, identifying the spots where the term is being frequent, and the secrecy behind the repetition especially in this Sura. Lastly, exhibiting the special meanings in each place.

Research Conclusion: The research consists of three aspects: The first one is to identify the vocabulary of Quran as a language and terms. The second one is to identify Surat Al-Israa (Its naming, genre, the number of verses, purposes, subjects, and occasions) The last one is to study the Quranic term in Surat Al-Israa, and this came in eight claims, Quran as the ultimate book of guidance, Quran as a book of monotheism and detailing Shariah, Quran as a protection for the prophet and abandoning the infidels to get advantage of it. The claims are also shedding the lights on the Quran as a warning book from sedition, Quran as a book showing religion rules, Quran as a healing book for hearts and bodies, Quran as challenging book and a miraculous one, and lastly Quran as righteous book stated to call for worshipping Allah.

Key Results: After examining the significance and meanings of the Quranic term, it is proved that the repetition of the term (Quran) is for great insights. Furthermore, in showing the name, this term is a proof for the significance of Quran and a reference to its matter in Madeena and Mecca chapters, and this repetition have ensured great meanings in Surat Al-Israa, one of the most important meanings is that Quran is a book of guidance, a declaration for monotheism, detailing Shariah, glorifying the Prophet, challenge and convince the infidels, and to call for worshipping Almighty Allah.

Key words: Term, Quran, Repetition, Al-Israa, connotation.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن نورا وهدى للناس، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته المكرمين، وبعد:

إن من أجلّ نعم الله على المؤمنين أن اختارهم الله ليكونوا حملة لهذا الدين، واختار لهم أفضل رسله محمد ﷺ، وأنزل عليه أعظم كتاب، وسماه ووصفه بأعظم الأسماء والأوصاف، فهو الهادي لأقوم الأقوال والأعمال والأخلاق، هو الدستور المبين الذي يستقى منه الأحكام وتوضح فيه العقيدة الصحيحة، وهو الشفاء من الشبهات والشهوات، كتاب العلم والإيمان والحماية من شرور الأنس والجن، تحدى الله به أرباب الفصاحة فعجزوا عن مجاراته، والذي إذا سمعه أهل الإيمان والعلم خروا سجدا اعترافا وتصديقا به، إنه القرآن الكريم، ولما في تكرار لفظة (لفظة القرآن) من معاني عظيمة، فقد تكررت في سور القرآن الكريم في قرابة (٧٠ موضع)، ودراسة هذه اللفظة مما يعين على التدبر واستخراج الحكم والمعاني، ولذا عقدت العزم على دراسة (لفظة القرآن) في سورة الإسراء واستخراج ما فيها من دلالات ومعاني، فجاء هذا البحث بعنوان: "لفظة القرآن ودلالاتها في سورة الإسراء، دراسة تطبيقية" والله أسأل العون والسداد..

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١- مكانة القرآن بين الكتب السماوية، والمميزات والخصائص التي تميز بها القرآن عن غيره من الكتب.

٢- تكرر لفظة القرآن في سورة الإسراء في أحد عشر مواضع، وفي هذا إشارة إلى وجود أهمية عظمى لتكرار هذه اللفظة، إما للفظة نفسها حيث إنه قد تعد خاصية أو قاعدة قرآنية.

٣- معرفة إعجاز القرآن والوقوف على بلاغته وأسراره الكامنة من خلال تكرار هذه اللفة في مواضع متفرقة في سورة واحدة، في مقابل عجز أرباب الفصاحة والبلاغة عن مجاراته.

٤- حاجة المكتبة القرآنية إلى مثل هذه الدراسة التي تعين على إبراز المعاني وتقريبها للناس.

أهداف البحث:

١- التعريف بسورة الإسراء، وما فيها من مقاصد، وموضوعات.

٢- الوقوف على المواضع التي تكرر فيها لفظة القرآن، وبيان المعاني الخاصة بكل موضع.

٣- الوقوف على سر تكرار هذه اللفظة في هذه السورة بشكل خاص، دون غيرها من السور.

الدراسات السابقة:

بعد البحث وسؤال المراكز والمكتبات العلمية المتخصصة تبين وجود دراسة بعنوان: **لفظة القرآن في القرآن الكريم**، دراسة موضوعية، للباحثة: جملات عيد محمود أبو ناصر، وهو بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية بغزة، عام ١٤٣٢ه، وتعرضت الباحثة؛ لعموم لفظة القرآن في سور القرآن وقسمت بحثها على موضوعات متنوعة حسب خطة التفسير الموضوعي.

أما بحثنا فهو خاص بلفظة القرآن في سورة الإسراء، ودراسة كل لفظ وفق سياق الآيات في السورة وعلاقة هذه اللفظة بمقصد السورة وموضوعاتها.

حدود البحث:

الآيات الوارد فيها لفظة القرآن في سورة الإسراء، وقد ذكرت في أحد عشر مواضع في عشر آيات، وقد وردت بلفظة (القرآن) في ثمانية مواضع، وبلفظة (وقرآن) في موضعين، و(وقرآنا) في موضع، كأكثر سورة تكررت فيها لفظة القرآن.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وفيها؛ أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بلفظة القرآن:

القرآن لغة.

القرآن اصطلاحا.

أسماء وأوصاف القرآن.

المبحث الثاني: بين يدي السورة

أولا: التعريف بسورة الإسراء: (اسم السورة، نوع السورة وعدد آياتها، وقت نزول السورة، محور السورة وأهم مقاصدها، موضوعات السورة، فضل السورة).

ثانيا: المناسبات الواردة في السورة.

المبحث الثالث: المواضع التي تكرر فيها لفظة القرآن في سورة الإسراء، وفيه:

المطلب الأول: القرآن كتاب الهداية الأقوم، والبشارة للمؤمنين والنذارة للمكذبين.

المطلب الثاني: القرآن كتاب التوحيد وبيان الأحكام، والتحذير من الشرك.

المطلب الثالث: القرآن كتاب حماية للنبي ﷺ، وإذلال وصغار لأعدائه.

المطلب الرابع: القرآن كتاب تحذير من الفتن وتعظيم شأنها.

المطلب الخامس: القرآن كتاب تعظيم وتشريف للدين وشرائعه.

المطلب السادس: القرآن كتاب شفاء ورحمة للمؤمنين، وهلاك للظالمين.

المطلب السابع: القرآن كتاب تحد وإفحام للكافرين، وبيان وهدى للمؤمنين.

المطلب الثامن: القرآن كتاب حق وبيان وإيمان وتعظيم وعلم وعبودية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ثبت المصادر والمراجع.

المنهج المتّبع في كتابة البحث:

سلكتُ في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وكان على النحو التالي:

أولاً: جمع الآيات التي ورد فيها لفظة (القرآن) وقد بلغت (١١) موضعا، في ١٠ آيات.

ثانياً: ترتيب الآيات الوارد فيها لفظة (القرآن) حسب ورودها في السورة، مع العزو بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ثالثاً: دراسة الآيات دراسة تفسيرية تحليلية، مع إبراز ما فيها من دلالات وأسرار بيانية وبلاغية ولطائف دقيقة أشارت إليها الآيات وذكرها أهل التفسير.

رابعاً: اتبعت في التخريج والتوثيق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه البحوث.

آمل أن أكون قد وفّقت في الإسهام في خدمة كتاب الله، وإبراز شيء من هداياته، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المبحث الأول
التعريف بلفظة القرآن

القرآن لغة:

(ق ر أ) أصل يدل على القراءة، قرأ يقرأ قرآنا وقراءة، ومنه قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن قرآنا، وهو مأخوذ من مادة قرأ بمعنى تلا.

قال الجوهري: "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمِّي القرآن، قال أبو عبيدة: سمِّي القرآن لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها، وقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ} [سورة القيامة:١٧]، أي جمعه وقراءته، {فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ} [سورة القيامة:١٨]، أي قراءته، قال ابن عبَّاس: فإذا بيَّنَّاه لك بالقراءة فاعمل بما بيَّنَّاهُ لك، وقيل: فلان قرأ عليك السلام وأقراك السلامَ، بمعنًى، وأقرأه القرآن فهو مُقْرِئٌ"(١).

وقد اتفق العلماء على أن القرآن اسم، فليس بفعل ولا حرف، واختلفوا؛ هل هو اسم جامد أم مشتق؟ وما أصل اشتقاقه؟(٢)

القول الأول: أنه اسم جامد غير مهموز وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل.

القول الثاني: أنه اسم مشتق، ثم افترقوا إلى فرقتين:

– فقالت فرقة إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة (ق ر ن)، ثم اختلفوا:

١– فقالت طائفة: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران.

٢– وقالت طائفة: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا.

– وقالت فرقة: إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضا إلى فرقتين:

١– فقالت طائفة: إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾} [سورة القيامة:١٧–١٨] أي: قراءته.

٢– وقالت طائفة: إنه وصف على وزن فعلان مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، وقالوا: وسمي القرآن قرآنًا لأنه جمع القصص والأمر

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري،(١/ ٦٥).

(٢) الوجيز في علوم القرآن العزيز، العبيد، (ص١١).

والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران.

والذي يظهر: أن القرآن في اللغة مأخوذ من مادة (قرأ) بمعنى تلا، وهذا ظاهر من استخدام هذا اللفظ ومشتقاته في كلام الله تعالى، وفي كلام رسوله ﷺ، وفي كلام الصحابة الذين نزل عليهم القرآن(١).

القرآن اصطلاحا:

هو كلام الله تعالى، المنزّل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس(٢).

فـــ(الكلام) عموم يشمل جميع كلامه سبحانه، فيدخل فيه كلامه للملائكة، ولغيرهم، وإضافته إلى "الله" يُخْرِجُ كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

وخرج بـــ (المنَزّل) ما لم يُنزّل من كلامه لأهل السماء، ويدخل فيه كلامه المنَزل على عموم أنبيائه.

وتقييد المنزَّل بكونه (على محمد ﷺ) يُخرج ما أُنْزِلَ على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

و"المتعبّد بتلاوته" يُخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك.

وهو جميعه بسوره وآياته وكلماته كلام الله تعالى، تكلّم به، وأسمعه لرسوله جبريل عليه السّلام، فنزل به جبريل مبلّغا إيّاه كما أسمعه لرسول الله محمّد ﷺ.

أسماء وصفات القرآن:

للقرآن الكريم أسماء وصفات توقيفية، لا نسمّيه ولا نصفه إلا بما جاء في الكتاب أو في السنة النبوية الشريفة، وهي دليل على شرفه وفضله، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى، وكماله.

قال الفيروز أبادي: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدتها وصعوبتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال

(١) المحرر في علوم القرآن، الطيار،(٢١).

(٢) المحرر في علوم القرآن، الطيار، (٢٢).

جلال عظمته؛ وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته"[(١)].

ومن أسماء القرآن الكريم[(٢)]:

١- القرآن: في قوله تعالى: {إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ} [سورة الواقعة:٧٧].

٢- الكتاب: في قوله تعالى: {الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ} [سورة البقرة:١-٢].

٣- الذكر: في قوله تعالى: {إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [سورة الحجر:٩].

٤- الفرقان: في قوله تعالى: {تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ} [سورة الفرقان:١].

٥- النور: في قوله تعالى: {فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ} [سورة التغابن:٨].

ومن صفات القرآن الكريم[(٣)]:

١- المبارك: في قوله تعالى: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ} [سورة الأنعام:١٥٥].

٢- هدى، ورحمة: في قوله تعالى: {هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ} [سورة لقمان:٣].

٣- الكريم: في قوله تعالى: {إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ} [سورة الواقعة:٧٧].

٤- الحكيم: في قوله تعالى: {الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ} [سورة يونس:١].

٥- الفصل: في قوله تعالى: {إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ} [سورة الطارق:١٣].

الحكمة من تسمية القرآن بالقرآن والكتاب:

هنا إشارة دقيقة استنبطها بعض العلماء من تسميته بالقرآن والكتاب فقالوا: روعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفيه تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور، والسطور جمعيًا، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر،

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (١/ ٨٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن الزركشي، (١/ ٢٧٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي، (١/ ٢٧٣).

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريز[١].

ورود لفظة (القرآن) في القرآن الكريم:

وردت لفظة (قرآن) في القرآن الكريم في (٧٠) موضعا، وبلفظة (القرآن) في (٥٠) موضعا، وبلفظة (قرآن) في (٢٠) مواضع.

وقد وردت لفظة قرآن في (٦٦) موضعا، بمعنى القرآن الكريم المنزل على النبي ﷺ، وبلفظة قرآن الفجر في (موضعين) بمعنى صلاة الفجر، وبلفظة قرآنه في (موضعين) بمعنى قراءة القرآن وإثبات قراءته.

وقد وردت لفظة القرآن في سورة الإسراء في (عشرة) مواضع، كأكثر سورة وردت فيها- وهي موضوع بحثنا-، وجميعها بمعنى القرآن الكريم المنزّل على النبي ﷺ، ثم وردت في كل من سورتي النمل والقمر في (٤) مواضع، ثم في غيرها من السور بأقل من ذلك.

(١) النبأ العظيم، محمد دراز (ص: ٤١).

المبحث الثاني
بين يدي السورة

أولا: التعريف بسورة الإسراء

اسمها؛ لسورة الإسراء أكثر من اسم عرفت به، منها:

١- سورة الإسراء: سميت بهذا الاسم في كثير من المصاحف، وفي كتب التفسير والسنة، واشتهرت بهذا التسمية على الألسنة، ووجه التسمية أنه ذكر في أولها الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس في قصة عجيبة، ومعجزة باهرة، وقد اختصت هذه السورة بذكر هذه الحادثة دون غيرها من السور(١).

٢- سورة بنى إسرائيل: عرفت بهذا الاسم في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ووردت في كلامهم، ومن ذلك: ما روي عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر»(٢)، وما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: "إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي"(٣)، ومراده أنهن من أول ما تعلم من القرآن، وبهذا الاسم ترجم لها البخاري في صحيحة والترمذي في جامعه(٤)، كما أن هذا الاسم مدوّن على كثير من المصاحف القديمة، وبعض كتب التفسير وعلوم القرآن والحديث، ووجه التسمية بهذا أنه ذكر فيها من أحوال وأحداث بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها من السور(٥).

٣- سورة سبحان: وردت هذه التسمية في كتب التفسير وعلوم القرآن، قال في البصائر(٦): ولهذه السورة اسمان: سورة سبحان لافتتاحها بها، وسورة بني إسرائيل.

ووجه التسمية افتتاحها بهذه الكلمة الدالة على كمال التعظيم والتنزيه لله عز وجل، قال تعال: {سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سورة الإسراء:١](٧).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٥)؛ أسماء سور القرآن، الشايع (ص٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن النبي ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة بني إسرائيل (٥/٤١حديث ٢٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل (٦/ ٨٢ حديث ٤٧٠٨).

(٤) أسماء سور القرآن، الشايع، (ص٨٧).

(٥) أسماء سور القرآن، الشايع، (ص ٨٨).

(٦) بصائر ذوي التمييز ، الفيروز آبادي، (١/ ٢٨٨).

(٧) أسماء سور القرآن، الشايع، (ص ٨٨).

٤- **الأقصى:** نص على هذه التسمية البقاعي في مصاعد النظر، ووجهه أنه مأخوذ من وصف مسجد المسرى في القدس في قوله سبحانه {سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ}[١].

نوعها وعدد آياتها:

سورة الإسراء مكية، وحكي الإجماع على ذلك[٢].

قال ابن عاشور: "وهي مكية عند الجمهور، وقيل: إلا آيتين منها، وهما: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ} {إِلَّا قَلِيلًا } [سورة الإسراء:٧٣-٧٦]، وقيل: إلا أربعا، هاتين الآيتين، وقوله: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ } الآية [سورة الإسراء:٦٠]، وقوله: {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ} [سورة الإسراء:٨٠]، وقيل: إلا خمسا، هاته الأربع، وقوله: { إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ} الآية [سورة الإسراء:١٠٧]، وقيل: إلا خمس آيات غير ما تقدم، وهي المبتدأة بقوله: {وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ} الآية[سورة الإسراء:٣٣]، وقوله: {وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ } الآية[سورة الإسراء:٣٢]، وقوله: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ} الآية [سورة الإسراء:٥٧]، وقوله: {أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ } [سورة الإسراء:٧٨]، وقوله: {وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ} [سورة الإسراء:٢٦]، وقيل: إلا ثمانيا من قوله: { سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا} [سورة الإسراء: ٧٣-٨٠]، وأحسب أن منشأ هاته الأقوال أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها تلك الأقوال يقتضي أن تلك الآي لا تناسب حالة المسلمين فيما قبل الهجرة فغلب على ظن أصحاب تلك الأقوال أن تلك الآي مدنية، ويظهر أنها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة، وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام"[٣].

وعدد آيها مئة وعشر في عدّ أهل العدد بالمدينة، ومكة، والشام، والبصرة، ومائة وإحدى عشرة في عدّ أهل الكوفة[٤].

(١) أسماء سور القرآن، الشايع، (ص ٨٨).

(٢) أنظر: البحر المحيط، ابن حيان، (٧/ ٧) ؛ بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (١/ ٢٨٨).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٦).

(٤)المصدر السابق: (١٥/ ٧).

وقت نزولها[1]:

اختلف في وقت الإسراء، والأصح أنه كان قبل الهجرة بنحو سنة وخمسة أشهر، فإذا كانت قد نزلت عقب وقوع الإسراء بالنبي ﷺ تكون قد نزلت في حدود سنة اثنتي عشرة بعد البعثة، وهي سنة اثنتين قبل الهجرة في منتصف السنة.

وليس افتتاحها بذكر الإسراء مقتضيا أنها نزلت عقب وقوع الإسراء، بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة، ونزلت هذه السورة بعد سورة القصص وقبل سورة يونس، وعدت السورة الخمسين في تعداد نزول سورة القرآن.

محاور السورة وأهم مقاصدها[2]:

اشتملت السورة على محاور ومقاصد كثيرة من أهمها:

- ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، وتنقيتها من كل ما يشوبها.
- إثبات نبوة النبي ﷺ.
- إثبات أن القرآن وحي من الله، وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذكر أنه معجز.
- بيان بعض التكاليف الشرعية المتضمنة لقواعد السلوك الفردي والجماعي.

موضوعات السورة[3]:

اشتملت السورة على موضوعات وقضايا متعددة من أهمها:

١- ذكر الإسراء، وبيان حكمته، والإشارة إلى المعراج.

٢- ذكر الكتاب الذي آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام؛ ليكون هداية لقومه، وإخبار بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين.

٣- بيان فضل القرآن، وأنه يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين بالأجر الكبير.

٤- بيان تصريف الله سبحانه في القرآن؛ ليتذكر الناس، إلا أنه لم يزدهم إلا نفورا.

٥- بيان تثبيت الله لنبيه ﷺ، وأمره بالمداومة على الصلاة، وعلى قراءة القرآن، وأن يدعو الله أن يحسن مدخله ومخرجه، ويعلن مجيء الحق وزهوق الباطل.

٦- الثناء على القرآن وبيان إعجازه، وبيان أن الله تعالى أنزله بالحق، وبالحق نزل، وأنه فصله وبينه وأحكمه، ليقرأه النبي صلى الله عليه وسلم على الناس على تؤدة وترتيل، وأنه نزله مفرقا، وأن أهل الكتاب والعلماء الذين عرفوا الوحي والنبوة إذا يتلى القرآن عليهم يخرون للأذقان سجدا خاشعين لله.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/٧-٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/٧)؛ التفسير المنير، الزحيلي، (١٥/ ٨).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/٨)؛ التفسير المنير، الزحيلي، (١٥/ ٨).

٧- ختم السورة بالأمر بحمد الله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، والأمر بتكبيره.

فضل السورة:

ورد في فضل السورة أحاديث منها:

١- كان النبي ﷺ يقرؤها كل ليلة كما عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر»(١).

٢- أنها من السُّور العتيقة، ومن قديم ما حفظ عند الصحابة، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: "إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي"(٢).

ثانيا: المناسبات في السورة:

المناسبة بين اسم السورة ومحاورها:

السورة واسمها في بيان الإسراء ومكانه والحكمة منه، ومحاور السورة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، وإثبات فضل الكتاب الذي أنزل عليه وهو القرآن الكريم، وأنه أقوم كتاب لهداية العالمين، في مقابل ذكر بني إسرائيل، ونبيهم موسى عليه السلام، والكتاب الذي أنزل عليه وهو التوراة، وأنه كان كتاب هداية لهم، ولكنهم خالفوا ما فيه من الأحكام وهذا هو سبب فسادهم في الأرض كما نصت على ذلك الآيات.

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

افتتحت السورة في بيان الإسراء ومكانه وبني إسرائيل وبيان افسادهم في الأرض بسبب مخالفتهم لأمر الله وعدم اتباعهم لأوامره التي أنزلها في التوراة لتكون هداية لهم، واختتمت كذلك السورة بذكر قصة موسى مع قومه وما أيده الله به من الآيات، وتكذيب قومه له، وما في هذا من تثبيتٍ لفؤاد النبي محمد ﷺ الذي آتاه الله القرآن الكريم ليكون كتاب هداية للناس، وما كان من شأن مشركي قريش من كفر وعدم إيمان.

مناسبة السورة لما قبلها(٣):

تقدمت سورة النحل سورة الإسراء وظهرت مناسبات بين هاتين السورتين، منها:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل سورة بني إسرائيل (٤١/٥حديث ٢٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل (٦/ ٨٢حديث٤٧٠٨).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥/١٥).

١- قال سبحانه فى خواتيم سورة النحل: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ} [سورة النحل:١٢٨]، وأعلى المعية أن يقرب اللهُ الرسولَ الكريم صلى الله عليه وسلم منه فقال سبحانه فى بداية الإسراء: {سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سورة الإسراء:١]، مما يدل على أنه ﷺ أعلى الذين اتقوا والذين هم محسنون، وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ} يدل على أنه يسمعهم ويبصرهم فهو معهم، وذلك مناسب لقوله سبحانه: {إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}.

٢- أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أذى المشركين في ختام سورة النحل بنسبته إلى الكذب والسحر والشعر، سلّاه هنا، وأبان شرفه وسمو منزلته عند ربه بالإسراء، وافتتح السورة بذكره تشريفا له، وتعظيما للمسجد الأقصى الذي أشير إلى قصة تخريبه، "ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والسعر وغير ذلك مما رموه به، أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده"(١).

٣- قال تعالى فى خواتيم النحل: {إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ} [سورة النحل:١٢٤]، وقال فى بداية سورة الإسراء: {وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا} [سورة الإسراء:٢]، ففسّر في هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم، وذكر جميع ما شرعه لهم في التوراة.

(١) البحر المحيط ، ابن حيان، (٧/ ٧).

المبحث الثالث

الدراسة التطبيقية للآيات والمواضع التي وردت فيها لفظة القرآن في سورة الإسراء، وفيه:

المطلب الأول

القرآن كتاب الهداية الأقوم، والبشارة للمؤمنين والنذارة للمكذبين

قـــــــال تعالى: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠} [سورة الإسراء: ٩-١٠].

بين الله عز وجل في هذه الآية الغاية من إنزال القرآن، والهدف الأسمى من أهدافه، وهو أنه هداية للناس وإرشادهم إلى أحسن الطرق وأعدلها وأصوبها في كل شأن، وهي ملة الإسلام، والبشارة للمؤمنين الذين امتثلوا الأمر واجتنبوا النهي ببشارتين؛ ثوابهم وعقاب أعدائهم، والنذارة للكافرين المكذبين بيوم البعث أن لهم عذابا أليما.

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين تعالى مأ أكرم به نبيه موسى عليه السلام من إنزال التوراة هداية لبني إسرائيل، وما كان من شأنهم من التكذيب وعدم الإيمان، وما سلّط عليهم من عذاب الدنيا والآخرة، مما يستدعي ردع العقلاء عن معاصي الله، ذكر الله ما شرّف به رسوله محمدا ﷺ، من إنزال القرآن؛ هداية للسبيل والحالة الأقوم، فمن آمن؛ كانت لهم البشارة بثوابهم وعقاب أعدائهم.

وفي الآية تنفيس للمؤمنين بعد ذكر ما حل ببني إسرائيل من البلاء، ما ينفي الخشية والخوف من أن يصيبهم مثل ما أصاب بني إسرائيل، فأُخبروا أن القرآن يعصمهم من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل، إذ هو يهدي للطريقة التي هي أقوم وأعدل، ولذلك ذُكر مع الهداية؛ البشارة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والنذارة للذين لم يؤمنوا بالأخرة، وكذبوا بها(١).

تفسير الآية:

قوله تعالى: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}، أي: هذا القرآن إشارة إلى الحاضر في أذهان الناس من المقدار المنزل من القرآن قبل هذه الآية، والجملة استئناف

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٠٣/٢٠)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤٠/١٥).

ابتدائيّ، عاد به الكلام إلى الغرض الأهم من هذه السورة، وهو تأييد النبي ﷺ بالآيات والمعجزات(١).

وأُكّدت الجملة ب (إنّ) مراعاة حال بعض المخاطبين، وهم الذين لم يذعنوا إليه، وحال المؤمنين من الاهتمام بهذا الخبر؛ فالتوكيد مستعمل في معنييه؛ دفع الإنكار، والاهتمام، ولا تعارض بين الاعتبارين.

وبُيّنت الإشارة بالاسم الواقع بعدها تنويها بشأن القرآن، أي: إن هذا القرآن يرشد المتبعين له إلى الطريقة التي هي أعدل وأفضل وأصوب في كل شأن من العقائد والأعمال والأخلاق، وهي ملة الإسلام(٢).

وقوله: (للتي هي أقوم) نعت لموصوف محذوف، والتقدير: يهدي للملة أو الشريعة أو الطريقة التي هي أقوم الملل والشرائع والطرق.

وللتي هي أقوم صفة لمحذوف دل عليه يهدي، أي للطريق التي هي أقوم، لأن الهداية من ملازِمات السير والطريق، أو للملّة الأقوم، وفي حذف الموصوف من الإيجاز من جهة ومن التفخيم من جهة أخرى ما رجح الحذف على الذّكر(٣).

قال الزمخشري: "وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف، لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تُفقَد مع إيضاحه"(٤).

وفي تفسير كلمة **(أقوم)** قولان(٥):

الأول: أنها صيغة مبالغة من أفضل بمعنى تفضيل القويم، أنه أحسن وأعدل وأصوب، والمعنى أنه يهدي للتي هي أقوم من هدي كتاب بني إسرائيل، وفي هذا إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم، لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضا أو تحذيرا.

والثاني: أن أقوم بمعنى قيّمة، أي مستقيمة.

قال أبو حيان: "الذي يظهَرُ من حيث المعنى أنَّه لا يراد به التفضيلُ؛ إذ لا مشاركة بين الطريقةِ التي يهدي لها القرآنُ وغيرها من الطرُقِ في مبدأ الاشتقاقِ لتفضُلَ عليه، فالمعنى: للتي هي قيِّمةٌ، أي: مستقيمة"(٦).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/٤٠).

(٢) جامع البيان، الطبري،(١٤/ ٥١١)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٥٤)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٤٠).

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ٣٠٣).

(٤) الكشاف، الزمخشري، (٢/ ٦٥١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ٣٠٣)؛ البحر المحيط، ابن حيان،(٧/ ١٨) ؛ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٦/ ١٣١).

(٦) البحر المحيط، ابن حيان، (٧/ ١٨).

والقول الأول أقوى، وهو ما عليه أكثر المفسرين.

واختاره ابن تيمية فقال: "وما يَهدِي إليه القرآن أقومُ مما يهدي إليه الكتاب الذي قبلَه، وإن كان ذلك يَهدي إلى الصراطِ المستقيمِ، لكن القرآن يَهدي للتي هي أقوم، ولهذا ذُكر هذا بعد قوله: {وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ} ثم قال: {إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}"[(١)].

هذه الآية الكريمة أجملَ الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة[(٢)].

قوله تعالى: {وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}، أي: في هذا القرآن بشارة للمؤمنين؛ المصدقين لكل ما جاء في هذا القرآن، فامتثلوا الأمر واجتنوا النهي، فلهم الثواب العظيم في الآخرة.

قوله تعالى: {وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [سورة الإسراء:١٠]، أي: أن الذين لا يؤمنون، ولا يصدقون بالله ولا بالبعث ولا بالجزاء والعقاب يوم القيامة؛ أعدّ لهم عذاب جهنم جزاء ما قدمته أنفسهم.

في الآيتين بشارتان للمؤمنين؛ البشارة الأولى: أن لهم الأجر العظيم من الله على إيمانهم وتصديقهم، والبشارة الثانية لهم: هي ما أعدّه الله وهيّأه لأعدائهم الكافرين من العذاب الأليم، ولا بشرى لذوي الهمم أعلى ولا أسرّ من الانتقام من مخالفيهم، ففي علم المؤمنين بذلك وتبشيرهم به مسرة لهم؛ فمصيبة العدوِّ سرورٌ يُبشَّرُ به.

وفي الآية أن القرآن مشتمل على البشارة والنذارة، وفيها ذكر للأسباب التي تنال بها البشارة وهي: الإيمان بالله والعمل الصالح، وما يستحق النذارة ضد ذلك، وأتت جملة البشارة بالعذاب؛ على سبيل التهكّم، من باب إطلاق اسم الضدين على الآخر[(٣)].

دلالة لفظة القرآن في الآيات:

دلت لفظة القرآن في الآية؛ أن القرآن كتاب الهداية الأقوم، وكتاب البشارة للمؤمنين، والنذارة للمكذبين، وهذا معنى متناسب مع محور السورة ومقصدها، في غرس العقيدة وفضل القرآن على غيره من الكتب السماوية السابقة.

---

(١)جامع المسائل، ابن تيمية، (٥/ ١٦٢).

(٢) أضواء البيان ، الشنقيطي، (٣/ ٤٨٧).

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ، (٢٠/ ٣٠٤)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٥٤)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٤٠)

المطلب الثاني

القرآن كتاب بيان التوحيد والأحكام والتحذير من الشرك

قال تعالى: {وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ۝٤١} [سورة الإسراء:٤١].

بيّن الله جل جلاله في هذه الآية أنه فصّل وبيّن لعباده في هذا القرآن الآيات والبراهين على توحيد الله وعبادته، رحمة منه بهم ليعرفوا الحق ويعبدوا ربهم ويوحّدوه، لكن وقوعَهم في الشرك وتوغّلَه فيهم، حجب عقولهم وأعمى أبصارهم، عن إدراك دعوة القرآن ودلائله، فنفروا وأعرضوا عنه وعن دعوة التوحيد، وأقاموا على الشرك وتبعاته.

مناسبة الآية لما قبلها:

في الآيات السابقة نهى الله المشركين أن يشركوا مع الله آلهة أخرى، فلم ينتهوا عن ذلك، بل أدخلوا صورة من صور الشرك؛ فعبدوا الملائكة كما عبدوا الأصنام، وادّعوا أن الملائكة بنات الله وتوهموا أن ذلك ليس كعبادة الأصنام، ظنا منهم أنهم أرضوا الله بعبادة بناته، فتمكن الشرك من قلوبهم، وتنقلوا بين صوره بمبررات وافتراءات حاصلها بقاؤهم على الشرك وتعظيمه.

فرد الله عليهم بتفنيد كذبهم وإبطال أصل قولهم؛ أن الملائكة بنات الله، فأبطل بذلك شركهم بالله في عبادة الملائكة، مثلما أبطل قول من أثبت لله الولد فأبطل له الشريك، فتبين بذلك جهل هؤلاء المشركين.

ثم أعقب ذلك بأن في القرآن بيانا وتفصيلا لبطلان شركهم من كل وجه، الأمر الذي يوجب توحيده توحيدا خالصا، ولكن لتمكّن الشرك من قلوبهم لم يقبلوا ولم يتعظوا بهدي القرآن فنفروا وأعرضوا وتمسكوا بشركهم(١).

تفسير الآية:

قوله تعالى: {وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا} أي: لقد فصّلنا وبيّنا في هذا القرآن التوحيد والأحكام والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلكوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، ولكن أكثر الناس أبوا إلا نفورا عن آيات الله، لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل، حتى تعصبوا لباطلهم ولم يعيروا آيات الله لهم سمعا ولا ألقوا لها بالا(٢).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ، (١٥/ ٧٧)؛ مفاتيح الغيب، الرازي ، (٢٠/ ٣٤٦) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ٧٨)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٥٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ،(١٤/ ٦٠٢)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ٧٨) ؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٠٩).

قال السعدي: "أخبر تعالى أنه صرّف لعباده في هذا القرآن أي: نوّع الأحكام ووضحها وأكثر من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكّر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه، ولكن أبى أكثر الناس إلا نفورا عن آيات الله، لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل حتى تعصبوا لباطلهم ولم يعيروا آيات الله لهم سمعا ولا ألقوا لها بالا، وأعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة؛ التوحيد الذي هو أصل الأصول، فأمر به ونهى عن ضده وأقام عليه الحجج العقلية والنقلية، من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكا ولا ريبا"(١).

قال الرازي: "قرأ الجمهور (ليذّكّروا) بفتح الذال والكاف وتشديدهما، والمعنى: ليتذكروا فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما، وقرأ حمزة والكسائي (ليذكروا) ساكنة الذال مضمومة الكاف، وفي سورة الفرقان مثله من الذكر، قال الواحدي: والتذكر هاهنا أشبه من الذكر، لأن المراد منه التدبر والتفكر، وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان، ثم قال: وأما قراءة حمزة والكسائي ففيها وجهان: الأول: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى: {خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ} [سورة البقرة:٦٣] والمعنى: وافهموا ما فيه، والثاني: أن يكون المعنى صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن ليذكروه بألسنتهم فإن الذكر باللسان قد يؤدي إلى تأثر القلب بمعناه"(٢).

دلالة لفظة القرآن في الآية:

دلت لفظة القرآن في الآية؛ أن القرآن كتاب بيانٍ للتوحيد وتفصيل للشريعة والأحكام، وأن القرآن كتاب هدى للمتقين وذكرى وموعظة لمن كان له قلب، وأن القرآن يزيد الضالين ضلالا وحجبا لعقولهم وعمىً لأبصارهم فيصدون ويعرضون عنه، وهذا معنى متناسب مع مقصد السورة في بيان شأن القرآن، وتقريره للتكاليف الشرعية.

المطلب الثالث

القرآن كتاب حماية للنبيﷺ، وإذلال وصغار لأعدائه

قال تعالى: {وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦} [سورة الإسراء:٤٥-٤٦].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٥٨).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ٣٤٦).

بيّن تعالى بعض أحوال المشركين عند سماعهم للقرآن، فقال: وإذا قرأت يا محمد القرآن فسمعه هؤلاء المشركون، الذين لا يؤمنون بالآخرة، جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا عن الأعين، يحجبهم عن فهم القرآن والانتفاع به؛ عقابا لهم على كفرهم وإنكارهم، وجعلنا على قلوب المشركين أغطية لئلا يفهموا هذا القرآن، وجعلنا في آذانهم صمما لئلا يسمعوه سماع قبول وانتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن داعيا لتوحيده ناهيا عن الشرك به، أعرضوا عنك نافرين من قولك؛ استكبارا واستعظاما.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لمـــّا تكلم الله تعالى في الآيات السابقة في المسائل الإلهية، وجادل المشركين بضرب الأمثال لهم، تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بتقرير النبوة، والنعي عليهم بعدم فهمهم للقرآن ونفورهم منه واستهزائهم به، وإيذائهم للنبي ﷺ، واتهامهم له بأنه كاهن، أو ساحر، أو مجنون، أو شاعر، وإنكارهم للمعاد(١).

وأيضا لما نوه بالقرآن في الآية السابقة من أنه الكتاب الأقوم، ثم ما اقتضاه السياق من الإشارة إلى ما جاء به القرآن من تقرير لأصول العقيدة، وجوامع الاعمال، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر؛ عاد هنا إلى التنبيه على عدم انتفاع المشركين بهدي القرآن؛ لمناسبة الإخبار عن عدم فقههم تسبيح الكائنات بحمد الله، {تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤} [سورة الإسراء:٤٤](٢).

تفسير الآيات:

قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا}، أي: إذا شرعت يا محمد في قراءة القرآن، فسمعه مشركو قومك، الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقرُّون بالثواب والعقاب؛ جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا عن الأعين، لا يُرى، يمنعهم من فهم القرآن وتدبره والانتفاع به، ويحول بينهم وبين الإيمان به(٣).

ذكر أهل التفسير: أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ إذا قرأ القرآن على الناس، فكان يحصل منهم أذى حسيا ومعنويا؛ فمن الأذى الحسي: محاولة النيل منه ﷺ، والأذى المعنوي: ما كان يصدر منهم من افتراءات على النبيﷺ مثل قول

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٣٤٩/٢٠) ؛ البحر المحيط ابن حيان،(٥٥/٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١١٥).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٤/ ٦٠٨) ؛ مفاتيح الغيب، الرازي،(٢٠/ ٣٤٩) ؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي ،(ص٤٥٩).

أبو جهل: هو مجنون، وقال أبو لهب: هو كاهن، وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر.

فالآية تحتمل معنيين: أحدهما أن الله تعالى أخبر نبيه أنه يحميه من الكفرة أهل مكة؛ الذين كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن، وصلاته في المسجد، ويريدون مد اليد إليه، وأحوالهم في هذا المعنى مشهورة مروية، والمعنى الآخر: أنه أعلمه أنه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرأه محمد عليه السلام حجابا، فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها(١).

قال ابن القيم: "وممّا يدخل في الغيرة قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا} [سورة الإسراء:٤٥]، قال السَّرِيُّ لأصحابه: تدرون ما هذا الحجاب؟ حجاب الغيرة، ولا أحدَ أغيرُ من الله، إنّ الله تعالى لم يجعل الكفّار أهلًا لفهم كلامه، ولا أهلًا لمعرفته وتوحيده ومحبّته، فجعل بينهم وبين رسوله وكلامه وتوحيده حجابًا مستورًا عن العيون، غيرةً عليه أن يناله من ليس أهلًا له"(٢).

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا} أي: وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة أغشية وأعطية تحجبهم فلا يفقهون معها القرآن، بل يسمعونه سماعا تقوم به عليهم الحجة، فجعل في أذانهم صمما وثقلا يمنعهم من سماع القرآن سماع قبول وانتفاع به(٣).

قال ابن عثيمين: "{وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ} في هذا الحث على فقه القرآن، وأنه ينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن ويتعلم معناه، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل"(٤).

قوله تعالى: {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا} أي: وإذا وحَّدت ربك يا محمد في تلاوتك للقرآن، فقلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلوه؛ أعرض المشركون عنك، نافرين مستكبرين عن توحيد الله، من شدة كراهيتهم لهذا الحق، ومحبتهم لما هم عليه من الباطل(٥).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣/ ٤٦٠) ؛ مفاتيح الغيب، الرازي،(٢٠/ ٣٤٩) ؛ تفسير القرآن العظيم ابن كثير،(٨/ ٥١٦).

(٢) مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية، (٣/ ٤٢٠).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٤/ ٦١٠)؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، (١٠/ ٢٦٥) ؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٥٩)؛ أضواء البيان، الشنقيطي ،(٤/ ١٨٥).

(٤) تفسير سورة الكهف، العثيمين ، (ص١٠٤).

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٤/ ٦١٠) ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٦٥) ؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٥٩).

وفي الآية تخصيص ذكر الله دون ذكر آلهتهم، وهو مناسب لأحوال المشركين حال استماع القرآن، ولأن القرآن مقصود منه التعليم والدعوة إلى الدين، ففي عدم ذكر آلهتهم مع ذكر الله إشارة إلى أن آلهتهم ليست بآلهة، فيكون سببا في غضبهم واستكبارهم، وكون ذلك في القرآن تقرير لإنكار آلهتهم، وما هم عليه من تعظيمها وعبادتها(١).

دلالة لفظة القرآن في الآيات:

دلت لفظة القرآن في الآيات؛ أن القرآن كتاب حماية ورعاية للنبي ﷺ من أعدائه الشانئين له، وأن القرآن يسير الفهم على من آمن به واتبعه، وأن القرآن محجوب وعسير على من كذب به ونفر منه، وأن القرآن سبب لغلف قلوب الكافرين، وصمم آذانهم، فليسوا أهلا أن ينتفعوا به أو يقبلوا عليه قبول انتفاع، وأن القرآن دعوة للتوحيد وتحذير من الشرك وأهله، وهذا المعنى متناسب مع محور السورة في إثبات نبوة النبيﷺ وبيان شأن القرآن وإعجازه، وفضل من أُنزل عليه.

المطلب الرابع

القرآن كتاب تحذير من الفتن، وتعظيم لشأنها

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾} [سورة الإسراء:٦٠].

ذكر تعالى ما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم ثباتا ويقينا، فقال: واذكر حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علما وقدرة، وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عيانا ليلة الإسراء والمعراج إلا اختبارا وبلاء للناس؛ ليتميز كافرهم من مؤمنهم، وما جعلنا شجرة الزقوم الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا ابتلاء للناس، ونخوف المشركين بأنواع العذاب والآيات، ولا يزيدهم التخويف إلا تماديا في الكفر والضلال.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما طالبوا الرسول ﷺ بالآيات المقترحة، وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه، وقالوا: لو كان رسولا حقا لأتى بالآيات المقترحة؛ فبين الله أنه ينصره ويؤيده، وأنه أحاط بالناس بقدرته وعلمه؛ فهم في قبضته، وتحت مشيئته، والله يعصمك منهم حتى تبلغ رسالته؛ فلا تخش منهم أحدا، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا، ثم

(١)، "التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١١٩).

أنتقل إلى الرؤيا التي آراها النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وما فيها من الآيات والبراهين اختبارا وابتلاء للناس؛ ليتبين من يصدق ومن يكذب به(١).

تفسير الآية:

قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}، أي: واذكر أيها الرسول حين قلنا لك إن ربك أحاط بالناس علما وقدرة، فهم تحت مشيئته، والله يعصمك منهم حتى تبلغ رسالته، فلا تخش منهم أحد، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا.

وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} أي: وما جعلنا رؤيا عينيك التي أريناك ليلة الإسراء والمعراج من عجائب المخلوقات، إلا اختبارا للناس، ليتميز المؤمن من الكافر(٢).

وفي هذه الآية حضٌّ من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كل من بغاه سوءا وهلاكا، قال جل ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيب منهم أحدا، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا(٣).

وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}، أي: وما جعلنا رؤيا عينيك يا محمد التي أريناك ليلة الإسراء والمعراج من الغرائب والعجائب إلا اختبارا وبلاء للناس؛ ليتبين من يصدقك ومن يكذبك، وبلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام، لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم(٤).

قال ابن جرير: "عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسري به، وذلك لأجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عز وجل بها"(٥).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ٣٦٠) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، (٥/ ٩١) ؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦١).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ، (٢٠/ ٣٦٠) ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٨٢) ؛ البحر المحيط، ابن حيان، (٧/ ٧٣)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٩١) ؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦١).

(٣) جامع البيان، الطبري، (١٤/ ٦٣٩).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٤/ ٦٤٧) ؛ مفاتيح الغيب، الرازي، (٢٠/ ٣٦١) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٩١) ؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦١).

(٥) جامع البيان، الطبري، (١٤/ ٦٤٧).

قوله تعالى: {وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ} أي: وما جعلنا الشجرة الملعونة التي ذكرت في القرآن إلا فتنة للناس أيضا؛ ليتبين من يصدق بها، ومن يكذب ويستهزئ بها؛ إذ قال المشركون: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر، فكيف تنبت فيها؟!

فكذبوا بذلك، حتى قال أبو جهل لعنه الله: هاتوا لنا تمرا وزبدا، وجعل يأكل هذا بهذا ويقول: تزقموا، فلا نعلم الزقوم غير هذا"(١).

وهذه الشجرة؛ هي شجرة الزقوم النابتة في الجحيم، قال ابن عباس: والشجرة الملعونة في القرآن، هي: شجرة الزقوم(٢)، في كلام أكثر المفسرين، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ} [سورة الصافات:٦٤-٦٦]، وقوله: {إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ} [سورة الدخان:٤٣-٤٤]، وقوله: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ} [سورة الواقعة:٥١-٥٢].

فهي شجرة الزقوم؛ التي جعلها الله فتنة لمن لا تتحمل عقولهم هذه الأشياء فكذبوا وخسروا، وكانت ثباتا ويقينا للمؤمنين(٣).

قال ابن عاشور: "فعلى هذا التأويل فالمعنى: أن شجرة الزقوم سبب فتنة كفرهم وانصرافهم عن الإيمان، ويتعين أن يكون معنى جعل شجرة الزقوم فتنة على هذا الوجه أنّ ذكرها كان سبب فتنة؛ بحذف مضاف وهو ذكر بقرينة قوله: الملعونة في القرآن، لأن ما وصفت به في آيات القرآن لعن لها(٤).

قوله تعالى: {وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا} أي: ونخوف المشركين بما نتوعدهم به من العذاب، فما يزيدهم تخويفنا لهم إلا تماديا في الكفر والضلال.

فإذا كان أمر الرؤيا وأمر الشجرة الملعونة في القرآن، قد صارا فتنة للناس حتى استلجّ الكفار بكفرهم، وازداد شرهم، وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء وكانت خارقة للعادة، والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق، فهذا الذي أوجب لهم التكذيب، فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة، والخوارق الجسيمة، أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟!

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٩٢).

(٢) اخرجه البخاري في صحيحة، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (ج٥/ ٥٤حديث٣٨٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ، (١٤/ ٦٤٧) ؛ مفاتيح الغيب، الرازي ، (٢٠/ ٣٦١) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، (٥/ ٩١)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦١).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٤٧).

فلذلك رحمهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولى وأحسن؛ لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم، لو أخبروا بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين، ومانعا يمنع من لم يدخل الإسلام ومنفرا عنه، بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون(١).

دلالة لفظة القرآن في الآية:

دلت لفظة القرآن في الآية؛ أن القرآن كتاب تحذير من الفتن عموما، وتعظيم لشأن بعضها خصوصا، ولعن الشجرة فيه بيان صريح في ذلك، وهذا متناسب مع محور السورة في بيان شأن القرآن وعظمته، وإثبات لنبوة النبيﷺ.

المطلب الخامس

القرآن كتاب تعظيم وتشريف للدين وشرائعه

قال تعالى: {أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾} [سورة الإسراء:٧٨-٧٩].

يقول الله تعالى: أقم يا محمد الصلاة تامة من وقت زوال الشمس إلى وقت ظلمة الليل -فيدخل في هذا صلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء- وأقم صلاة الفجر؛ إن صلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، وقم يا محمد من نومك بعض الليل، فصل بالقرآن زيادة لك؛ عسى أن يبعثك الله شافعا للناس يوم القيامة، وتقوم مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى كيد الكافرين للرسول، وما كانوا يرومون به؛ أمره تعالى أن يقبل على شأنه من عبادة ربه، وألا يشغل قلبه بهم، وكان قد تقدم القول في الإلهيات والمعاد والنبوات؛ فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الإيمان، وهي الصلاة(٢).

وامتنّ الله على النبي ﷺ بالعصمة وبالنصر؛ وذكّره بشكر النعمة؛ بأن أمره بأعظم عبادة يعبده بها، وبالزيادة منها؛ طلبا لازدياد النعمة عليه، وهي صلاة التهجد، نافلة له دون

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٤٧).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢١/ ٣٨٢).

المؤمنين، وفي هذا زيادة تشريف له ﷺ، ولهذا أُعقب بوعد الله أن يبعث مقاما محمودا: {عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا}(١).

وأمر الله تعالى نبيه بالصلوات الخمس على سبيل الرمز والإشارة؛ أردفه بالحث على صلاة الليل(٢).

وأيضا لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإقامة الصلاة للوقت المذكور، ولم يدل أمره تعالى إياه على اختصاصه بذلك دون أمته؛ ذكر ما اختصه به وأوجبه عليه من قيام الليل، وهو في أمته تطوّع(٣).

تفسير الآيات:

قوله تعالى: {أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ}، أي: صلّ يا محمد الصلوات المكتوبات على وجه التمام بجميع أركانها وشروطها، في أوقاتها؛ من مَيل الشمس للزوال –فيدخل في ذلك صلاتا الظهر والعصر– إلى إقبال الظلام واجتماعه، ويدخل في ذلك صلاتا المغرب والعشاء، فإمر بالصبر والمحافظة على الصلاة.(٤).

قوله تعالى: {وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا}، أي: وأقم يا محمد صلاة الفجر، إن قرآن الفجر كان مشهودا، أي: إن صلاة الفجر محضورة؛ تشهدها ملائكة الليل، وملائكة النهار، ولذا بين الفقهاء أن السنة أن تكون القراءة في صلاة الفجر أطول من القراءة في سائر الصلوات(٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح، يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا}» (٦).

قال الرازي: "وفيها الحث على أن تطويل القراءة في هذه الصلاة مطلوب لأن التخصيص بالذكر يدل على كونه أكمل من غيره"(٧).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٨٥).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢١/ ٣٨٢).

(٣) البحر المحيط، ابن حيان، (٧/ ٩٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١٠٢)؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، (١٠/ ٣٠٣)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٤).

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري،(١٥/ ٣٣)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١١٤) ؛ المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣/ ٤٧٧) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١٠٢)؛ فتح القدير، الشوكاني،(٣/ ٢٩٨) ؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور،(١٥/ ١٨٣).

(٦) أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب قوله: إن قرآن الفجر كان مشهودا، (٨٦/٦ حديث ٤٧١٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة (٢/ ١٢٢حديث ٦٤٩).

(٧) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢١/ ٣٨٤).

وقال السعدي: "{وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها؛ حيث شهدها الله، وملائكة الليل وملائكة والنهار"(١).

قال ابن عاشور: "ورد في الحديث: «وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح»، وذلك زيادة في فضلها وبركتها، وأيضا فهي يحضرها أكثر المصلين لأن وقتها وقت النشاط، وبعدها ينتظر الناس طلوع الشمس ليخرجوا إلى أعمالهم فيكثر سماع القرآن حينئذ"(٢).

قوله تعالى: {وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ}، أي: ومن بعض الليل قم يا محمد من نومك فصلّ بالقرآن؛ زيادة لك؛ كما قال تعالى: {قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٢ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا} [سورة المزمل:٢-٤].

قوله تعالى: {عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} أي: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد، فيبعثك ربك يوم القيامة شفيعا في أهل الموقف، فيحمدك الأولون والآخرون(٣).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمدﷺ، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا، يحمده أهل الجمع كلهم» (٤).

قال ابن رجب: "قيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة؛ قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، فجعل جزاءه على التهجد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود، وهو أعلى درجاته ﷺ"(٥).

اللام في {نَافِلَةً لَّكَ} أي: نافلة لأجلك، وفي هذا دليل على أن الأمر بالتهجد خاص بالنبي ﷺ، فالأمر للوجوب، وبذلك انتظم في عداد الصلوات الواجبة؛ فبعضها واجب عليه وعلى الأمة، وبعضها واجب عليه خاصة، ويعلم منه أنه مرغب فيه، كما صرحت به آية سورة (المزمل): {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ٣٣)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١١٤)؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، (١٠/ ٣٠٣)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ١٠٢)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٥)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٨٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، (٢/ ٥٣٦ حديث١٤٧٥).

(٥) مجموع رسائل، ابن رجب، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (٤/ ٤٧).

مَعَكَۚ} [سورة المزمل:٢٠]، إلى قوله: {مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، وفي هذا الإيجاب عليه زيادة تشريف له؛ ولهذا أعقب بوعد أن يبعثه الله مقاما محمودا(١).

دلالة لفظة القرآن في الآيات:

دلت لفظة القرآن في الآيات؛ أن القرآن كتاب تعظيم وتشريف للدين وشرائعه، فعظّم الله صلاة الفجر بتسميتها قرآنا، وهو أحد أركان هذه الصلاة حيث يشرع فيها الاطالة في قراءة القرآن أكثر من غيرها من الصلوات المفروضات، وهذا معنى متناسب مع مقصد السورة في عظم القرآن وشرفه، وفي إثبات نبوة النبيﷺ ومكانته، وفي تعظيم شرائع الدين وأحكامه.

المطلب السادس

القرآن كتاب شفاء ورحمة للمؤمنين، وهلاك للظالمين

قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾} [سورة الإسراء:٨٢].

أخبر تعالى أنه ينزل في هذا القرآن العظيم آيات فيها شفاء لقلوب المؤمنين من الشهوات والشبهات، وفيها شفاء للأبدان من الأمراض، ورحمة لهم في الدنيا والآخرة، ولكن هذه الآيات لا تزيد الكفار عند سماعها إلا هلاكاً وتكذيبا، وكفرا وضلالا.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر سبحانه بيان وشرح الإلهيات والنبوات والحشر والمعاد والبعث وإثبات القضاء والقدر ثم أتبعه بالأمر بالصلاة ونبه على ما فيها من الأسرار، وكان القرآن هو الجامع لجميع ذلك أتبعه ببيان كون القرآن شفاء ورحمة(٢).

وفي الآية عطف على جملة: {وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ} [سورة الإسراء:٨١]، وهذا من معنى التأييد للنبي صلى الله عليه وسلم ومن الإغاظة للمشركين، ابتداء من قوله: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ} [سورة الإسراء:٧٣]، فإنه بعد أن امتن عليه بأن أيده بالعصمة من الركون إليهم، وبشره بالنصرة عليهم وبالخلاص من كيدهم، وبعد أن هددهم بأنهم صائرون قريبا إلى هلاك، وأن دينهم صائر إلى اضمحلال؛ أعلن له ولهم في هذه الآية؛ أن ما منه غيظهم وحنقهم؛ وهو القرآن؛ لا يزال متجددا مستمرا، فيه شفاء للرسول وأتباعه، وخسارة لأعدائه الظالمين(٣).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٨٥).
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢١/ ٣٨٩).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٨٩).

تفسير الآية:

قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، أي: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل ومن الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين، ورحمة لهم دون الكافرين(١).

وفى تقديم {مِنَ ٱلْقُرْءَانِ} لتحصيل غرض الاهتمام بذكر القرآن مع غرض الثناء عليه بطريق الموصولية بقوله: {مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ}؛ للدلالة على تمكّن ذلك الوصف منه بحيث يعرف به(٢).

واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قولين؛ الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه، والثاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أو من باب حمل المشترك على معنييه(٣).

قال السعدي: "القرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارا؛ إذ به تقوم عليهم الحجة؛ فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة؛ فإنه مشتمل على العلم اليقيني الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، وشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل"(٤).

وقوله: {وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ} ، هاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية؛ فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ، (١٥/ ٦٢)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١٢٣) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ١١٢).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ١٨٩).
(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٣٠٠).
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٥).

تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفس فعالة، وهمة مؤثرة فى إزالة الداء[١].

قوله تعالى: {وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} أي: ولا يزيد القرآن الظالمين أنفسهم بالكفر إلا هلاكا، زيادة الخسارة للظالم من حيث إن كل آية تنزل يتجدد منهم التكذيب وتزداد لهم الخسارة والبعد عن الحق، تكذيبا وكفرا؛ وذلك بسبب تكذيبهم بالقرآن، وتركهم العمل به؛ فلا ينتفعون به، ولا يحفظونه ولا يعونه ولا يعملون به؛ لإعراضهم عنه[٢].

قال الرازي: "سماع القرآن يزيدهم غيظا وغضبا وحقدا وحسدا، وهذه الأخلاق الذميمة تدعوهم إلى الأعمال الباطلة، وتزيد في تقوية تلك الأخلاق الفاسدة في جواهر نفوسهم، ثم لا يزال الخلق الخبيث النفساني يحمل على الأعمال الفاسدة، والإتيان بتلك الأعمال يقوي تلك الأخلاق فبهذا الطريق يصير القرآن سببا لتزايد هؤلاء المشركين الضالين في درجات الخزي والضلال والفساد"[٣].

دلالة لفظة القرآن في الآية:

دلت لفظة القرآن في الآية؛ أن القرآن كتاب شفاء لقلوب المؤمنين من الشبهات والشهوات، وشفاء لأبدانهم من الاسقام، وكتاب رحمة بهم بيان توحيد الله وعبادته، وكتاب خسار للظالمين، لتكذيبهم وكفرهم وبعدهم عن الحق، وهذا متناسب مع محور السورة ومقصدها في فضل القرآن وأثره على المؤمنين به والمكذبين به على حدٍ سواء، وترسيخ العقيدة رحمة وعناية بهم.

المطلب السابع

القرآن كتاب تحدٍّ وإفحام للكافرين، وبيان وهدى للمؤمنين

قال تعالى: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾} [سورة الإسراء:٨٩-٨٨].

أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يتحدى المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو تظاهرت وتعاونت الإنس والجن أن يأتوا بمثله، لأعجزهم ذلك ولم يستطيعوا، فبيّن الله أنه فصّل وبيّن للناس في هذا القرآن من كل معنى وبيان، وذكر فيه الحجج والبراهين، وأوضح

(١) الجواب الكافي ، ابن القيم الجوزية، (ص٩).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ، (١٥/ ٦٣) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١١٣)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٥) .

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، (٢١/ ٣٨٩).

الحق، وأتى بالآيات والعبر، ليؤمنوا ويُقبلوا على الله، ولكنهم جحدوا تلك النعمة وردَّوا ذلك الهدى وطلبوا من الآيات ما ليس لهم بحق.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لمّا ذكر الله عز وجل إنعامه على نبيه ﷺ بالنبوة وإنزال الوحي عليه وباهر قدرته؛ بأنه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن، لكن الله لم يشأ ذلك رحمة منه بنبيّه وعباده، ذكر ما منحه تعالى من الدليل الباقي على نبوته بقاء الدهر، وهو القرآن الذي عجز عالم الإنس والجن عن الإتيان بمثله، وأن هذا القرآن من أكبر النعم والفضل الذي أُبقي له، فلما عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ نبه سبحانه بما ردَّد في القرآن من الأمثال والعِبَر التي تدل على توحيده سبحانه، ومع كثرة ما ردَّد فيه من الأمثلة وأسبغ من النعم، لم يكونوا إلا كافرين به وبنعمه، فبين أن هؤلاء المشركين حرموا أنفسهم الانتفاع بما في هذا القرآن، وأخذ العظة والعبرة من هذه الأمثال، وأبو إلا البعد والتعنت في طلب أمور ليست لهم؛ على وجه العناد الجحود(١).

تفسير الآيات:

قوله تعالى: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ} أي: قل يا محمد: للذين قالوا لك: إنا نأتي بمثل هذا القرآن: لئن اتفق جميع الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وكمال معانيه؛ لما أطاقوا ذلك وما استطاعوه(٢).

وقوله تعالى: {وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} أي: لا يأتون بمثله ولو تعاون الإنس والجن، وتناصروا على ذلك، فكيف بهم إذا حاولوا ذلك متفرقين(٣).

وذلك أن القرآن المنزل عليك معجز في نظمه، وفيه من البلاغة، وحسن النظم وبيانه، ومعانيه وأحكامه، ما لا يقدرون على الاتيان بمثله، فهو كلام في أعلى طبقات البلاغة، ولا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولوكان مخلوقا لأتوا بمثلة، فأخبر أن جميع الخلائق لو تعاونوا إنساً وجنّاً على ذلك لم يقدروا عليه(٤).

---

(١) البحر المحيط، ابن حيان، (٧/ ١٠٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ٧٥)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١١٧)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٦)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٠٣).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ٧٥)؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٣٢٧)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١١٧)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور ، (١٥/ ٢٠٣).

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي ، (٥/ ١٢٧)؛ الكشاف ، الزمخشري ، (٢/ ٦٩٢)؛ المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣/ ٤٨٣).

وهنا استئناف للزيادة في الامتنان، وهو استئناف بياني لمضمون جملة: {إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا} [سورة الإسراء:٨٧]، وافتُتحت ب (قل) للاهتمام به، وهذا تنويه بشرف القرآن فكان هذا التنويه امتنانا على الذين آمنوا به، وهم الذين كان لهم شفاء ورحمة، وتحديا بالعجز على الإتيان بمثله للذين أعرضوا عنه، وهم الذين لا يزيدهم إلا خسارا(١).

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ} أي: ولقد بيَّنَّا ونوَّعنا للناس في هذا القرآن الحجج والبراهين، والمواعظ والأمثال، والقصص والعبر؛ ليتذكَّروا ويتّقوا، وعطف الله هذه الآية على ما قبلها؛ زيادة في الامتنان على نبيه ﷺ والتَّعجيز لهم، وهم أهل البلاغة والفصاحة(٢).

أُكّدت الآية بلام القسم وحرف التَّحقيق (قد) أنه من عند الله؛ ردا على شبهة الكافرين أنهم يستطيعون الإتيان بمثلة، وثنّى بذكر فضائل القرآن على ما سواه من الكلام، وذكر أنهم حرموا أنفسهم الانتفاع بما في القرآن من الأمثال؛ وهي من نواحي إعجازه التي ضربها الله للتفكر والاتعاظ.

وزاد في هذه الآية بذكر قيد: (للناس) دون الآية السابقة (آية ٤٠) لأن هذه الآية كانت في مقام التحدي والإعجاز، فكان (للناس) مقصودين به قصدا أصليا مؤمنهم وكافرهم، بخلاف الآية المتقدمة فإنها في مقام توبيخ للمشركين خاصة، فكانوا معلومين.

كما قدم لفظ (للناس) على لفظ القرآن، لأن ذكر الناس أهم في هذا المقام لأجل كون الكلام مسوقا لتحديهم والحجة عليهم، وإن كان ذكر القرآن أهم بالأصالة إلا أن الاعتبارات الطارئة تقدم في الكلام البليغ على الاعتبارات الأصلية(٣).

قوله تعالى: {فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} أي: فلم يَرضَ أكثر الناس إلا الكفر بالحق، والجحود لهذه النعمة العظمى، فجحدوا بما في القرآن، وردوا الهدى، وطلبوا من محمد ﷺ ما ليس لهم استكبارا وتكذيبا؛ أن يفجر لهم الأرض ينبوعا، أو تكون له جنة من نخيل وأعناب، وأن يفجّر الأنهار خلالها تفجيرا، أو يسقط السماء عليهم كسفاء، أو يأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون له بيتا من زخرف، أو يرقى في السماء، فسبحان الله هل كان محمد إلا بشرا رسولا؟!(٤).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٠٣).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ٧٥)؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٣٢٧)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١١٧)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ٤٦٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٠٣)؛ فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٣٠٥).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ٧٥) ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٣٢٧) ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١١٧)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٦).

وأُظهرت لفظة (الناس) ولم تُضمر تأكيدا وتوضيحا، وهذا مبالغة ودلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الإيمان، والتوقف في الأمر، وبالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء والجحود(١).

قال أبو السعود: "أُوثر الإظهارُ على الإضمار تأكيداً وتوضيحاً (إِلَّا كُفُورًا) أي: إلا جُحوداً، وفيه من المبالغة ما ليس في (أبوا الإيمانَ) لأن فيه دِلالةً على أنهم لم يرضَوا بخَصلة سوى الكفورِ من الإيمان والتوقفِ في الأمر ونحو ذلك وأنهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبةَ الإباءِ"(٢).

دلالة لفظة القرآن في الآيات:

دلت لفظة القرآن في الآيات؛ أن القرآن كتاب معجز بلفظه ونظمه ومعناه للكافرين، وأن القرآن كتاب بيانٍ وتفصيل لكل شيء، وأن القرآن حجة وهدى للمؤمنين، وحجة وإفحام للكافرين، وهذا معنى متناسب مع محور السورة في بيان شأن القرآن، وإعجازه، وفضله، وفي بيان ثمرة الإيمان على المؤمنين، وشؤم الكفر على الكافرين.

المطلب الثامن

القرآن كتاب حق وبيان وإيمانٍ وتعظيم وعلم وعبودية

قال تعالى: {وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾} [سورة الإسراء:١٠٥-١٠٩].

بيّن الله تعالى شأن القرآن فقال تعالى؛ وبالحق أنزلنا هذا القرآن، وبالصدق والعدل، والحفظ من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير نزل، وما أرسلناك يا محمد إلا مبشرا الطائعين بالجنة، ومخوفا العاصين بالنار، وقرآنا بيّناه وأحكمناه وفصلناه فارقا بين الحق والباطل والهدى والضلال؛ لتقرأه على الناس في تؤدة وتمهل، ونزلناه مفرقا شيئا بعد شيء، ثم أمره أن يخاطب المشركين في دليل على عدم المبالاة بهم ، فقال: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين: آمنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا، ؛ فإن الذين أوتوا العلم من قبل نزول القرآن؛ من مؤمني أهل الكتاب، إذا قرئ عليهم القرآن يسقطون على أذقانهم ويسجدون

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٠٤)؛ فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٣٠٥).
(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٥/ ١٩٤).

على وجوههم لله سبحانه وتعالى، ويقولون: تنزيها لربنا وتبرئة له مما يصفه المشركون به، إن وعد ربنا بإرسال نبيه محمد وإنزال القرآن عليه: كائن وواقع، ويقعون على أذقانهم يبكون تأثرا بمواعظ القرآن، ويزيدهم القرآن خضوعا لأمر الله، ورقة ولينا.

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر فى الآيات السابقة مكانة القرآن عاد إلى التنويه بشأن القرآن فهو متصل بقوله: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [سورة الإسراء:٨٩]، فلما عطف عليه؛ {وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ} [سورة الإسراء:٩٠].. الآيات، وذكر تكذيب فرعون موسى- عليه السلام- عاد الكلام إلى التنويه بالقرآن لتلك المناسبة(١).

تفسير الآيات:

قوله تعالى: {وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ} أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، وبالحق نزل أي بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم(٢).

نزل القرآن وحيا من عند الله تعالى لمصلحة الخلق، متضمنا للحق، مشتملا على الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، أمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، ونهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذميمة، ونزل به جبريل القوي الأمين إلى محمد ﷺ بلسان عربي مبين، محروسا من الشيطان، محفوظا من الزيادة والنقصان، لم يقع في طريق إنزاله تبديل، ولم يحدث له تغيير ولا تحويل(٣).

وقد وُصف القرآنُ بصفتين عظيمتين؛ كل واحدة منهما تحتوي على ثناء عظيم وتنبيه للتدبر فيهما، وعلق نزول القرآن، أي بلوغه للناس بأنه بالحق، فكان معنى الحق الثاني مقابل الباطل، أي مشتملا على الحق الذي به قوام صلاح الناس وفوزهم في الدنيا والآخرة(٤).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٣)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٨).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٣)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١٢٧)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٨)؛ أضواء البيان، الشنقيطي،(٣/ ٧٤٦).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٢٩).

قوله تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا} أي: وما أرسلناك يا محمد إلا لتبشر الطائعين بالخير والثواب في الدنيا، والجنة في الآخرة، وتنذر العاصين بالعقاب في الدنيا والآخرة[1] .

قوله تعالى: {وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ} أي: وقرآنا فصّلناه وبيّناه وأحكمناه، وفرّقنا فيه بين الحق والباطل، والهدى والضلال؛ لتتلوه يا محمد على الناس بتمهّل وتؤدة وترتيل، ولا تعجل في تلاوته، فإن ذلك أيسر للحفظ، وأعون على الفهم؛ ليتدبره الناس ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا من علومه وأسراره ومراميه[2].

وفي الآية قراءتان: (فرقناه) بالتخفيف وهي قراءة متواترة وتعني: أحكمناه وفصّلناه وبيناه، و(فرّقناه) بالتشديد، وهي قراءة شاذة، لا يقرؤ بها ويحتج بها في المعاني والأحكام، وتعني: نزّلناه شيئا بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة[3] .

قال ابن عطية: "في قراءة ابن مسعود وأبي «فرّقناه» بالتشديد: أي أنزلناه شيئا بعد الشيء لا جملة واحدة ويتناسق هذا المعنى مع قوله؛ {لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ}، وهذا كان مما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معينة"[4].

قوله تعالى: {وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا} أي: ونزلنا عليك القرآن يا محمد مفرقا شيئا بعد شيء، (ونزلناه تنزيلا) مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره في ألفاظ الآية[5].

قال ابن عاشور: "وطُوِي بيان الحكمة للاجتزاء بما في قوله: {لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ} من اتحاد الحكمة، وهي ما صرح به قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا} [سورة الفرقان:٣٢]، ويجوز أن يراد: فرّقنا إنزاله رعيا للأسباب والحوادث، وفي كلام الوجهين إبطال لشبهتهم إذ قالوا: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ} [سورة الفرقان:٣٢]."[6].

قوله تعالى: {قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ} أي: قل يا محمد للمكذبين المعرضين عن القرآن: آمنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا به، في إشارة إلى عدم المبالاة بهم وأنهم ليسوا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٣)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ١٢٧)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١٣٥)؛ مفاتيح الغيب، الرازي ، (٢١/ ٤١٧).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٣)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١٣٥)؛ مفاتيح الغيب، الرازي ، (٢١/ ٤١٧)؛ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، (٢/ ٢٣).

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣/ ٤٩١).

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٣)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١٣٥)؛ المحرر الوجيز، ابن عطية ، (٣/ ٤٩١).

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٣١).

بحجة، أي: فسواء آمنتم به أم كفرتم، فهو حق في نفسه، ولن تنفعوا الله إن آمنتم، ولن تضروه إن كفرتم، وإنما ضرر ذلك واقع على أنفسكم، وإنما الحجة بأهل العلم من قبله(١).

قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا} أي: إن الذين أوتوا العلم من قبل نزول القرآن، من مؤمني أهل الكتاب إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون سجدا، تعظيما له وتكريما، وعِلما منهم بأنه من عند الله، وشكرا على ما أنعم به عليهم من جعله إيّاهم أهلا أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب(٢).

وفي الآية تسلية من الله لنبيه ﷺ بإيمان أهل العلم بهذا القرآن، وأمره ألا يعبأ بالجاهلين شيئا، وهذا شرف عظيم لأهل العلم.

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا} أي: ويقولون في سجودهم تنزّه لربنا مما يضيفه إليه المشركون، وعما يقوله الجاهلون مما لا يليق بجلاله، وتعظيما وتوقيرا له على قدرته التامة، عن خلف الوعد فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن؛ إنّ وعد ربنا بذلك وبغيره واقع لا محالة(٣).

قوله تعالى: {وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا} ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا، أي: ويقعون على وجوههم ساجدين لله يبكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعا لله وخشية له(٤).

قال ابن عاشور: "ويزيدهم القرآن خشوعا على خشوعهم الذي كان لهم من سماع كتابهم، ومن السنة سجود القارئ والمستمع له بقصد هذه الآية اقتداء بأولئك الساجدين بحيث لا يذكر المسلم سجود أهل الكتاب عند سماع القرآن إلا وهو يرى نفسه أجدر بالسجود عند تلاوة القرآن"(٥).

دلالة لفظة القرآن في الآية:

دلت لفظة القرآن في الآيات؛ أن القرآن كتاب حق؛ نزل بالتوحيد والعبودية لله، ونزل بالعدل والحفظ لمن أخذ به، وأن القرآن كتاب بيان وتفصيل للدين وعقائده

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٩)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ١٢٧)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١١٩)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ١٢٧).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١٢٠)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١٣٦)؛ الكشاف ، الزمخشري ، (٢/ ٦٩٩)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ١٢٨)؛ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص٤٦٨).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، (١٥/ ١٢٠)؛ معالم التنزيل، البغوي، (٥/ ١٣٦)؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(٥/ ١٢٨).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥/ ٢٣٥).

وشرائعه، وأن القرآن كتاب دعوة وبلاغ للناس، وأن القرآن كتاب إيمان وتوحيد، وأن القرآن كتاب تعظيم وإجلال لله عز وجل، وأن القرآن كتاب علم وبرهان، وأن القرآن كتاب عبودية وحب وخضوع لله عز وجل، وقد جاءت هذه الآيات في ختام السورة فكانت معانيها متناسبة وشاملة لمقاصد السورة ومحاورها، في بيان العقيدة وترسيخها، وفي إثبات نبوة النبيﷺ ومكانته وشرفه، وفي شأن القرآن وعظمته وفضله وأثره وإعجازه، وفي بيان الشريعة وأحكامها.

الخاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أن يسّر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

نتائج البحث: من أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:

– التعريف بسورة الإسراء وأنها من السور المكية، وأن من مقاصدها ترسيخ العقيدة، وإثبات النبوة، وذكر القرآن وفضله وإعجازه وفضل من أنزل عليه.

– وردت لفظة (القرآن) في سورة الإسراء في إحدى عشر موضعا، بلفظة (القرآن) في ثمانية مواضع بمعنى القرآن الكريم، وبلفظة (قرآن) في موضعين بمعنى صلاة الفجر، وبلفظة (قرآنا) في موضع واحد بمعنى القرآن.

– دلت لفظة القرآن في المواضع التي وردت فيها في سورة الإسراء على دلالات ومعاني عظيمة تلخصت في:

- أن القرآن كتاب الهداية الأقوم، وكتاب البشارة للمؤمنين، والنذارة للمكذبين، وفي ذلك غرس العقيدة وبيان فضل القرآن على الكتب السماوية السابقة.
- أن القرآن كتاب علم ودعوة للتوحيد وتحذير من الشرك، وتفصيل للشريعة والأحكام، وفي ذلك بيان شأن القرآن، وتقريره للأحكام الشرعية.
- أن القرآن كتاب تعظيم لجناب النبي ﷺ وحماية ورعاية له من أعدائه، وفي ذلك إثبات نبوة النبيﷺ.
- أن القرآن كتاب تحذير من الفتن عموما، وتعظيم لشأن بعضها خصوصا، وفي ذلك بيان شأن القرآن وعظمته، وإثبات لنبوة النبيﷺ.
- أن القرآن كتاب هدى وشفاء لقلوب المؤمنين وأبدانهم، وكتاب خسار للظالمين، وفي هذا فضل القرآن وأثره على المؤمنين به والمكذبين به.

التوصيات:

- يوصي البحث بالتدبر والتأمل في آيات الله وإبراز ما يتكررا فيها من الألفاظ يستنبط منها كثير من المعاني والحكم.
- تقديم مثل هذه البحوث وما يماثلها كدروس علمية ومحاضرات وخطب ودورات عامة.

والله نسأل القبول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.
- أسماء سور القرآن ، د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، ط:١، دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٢ه.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط٥، الرياض: دار عطاءات العلم ، ١٤٤١هـ.
- البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف ابن حيان، تحقيق: صدقي جميل، بيروت: دار الفكر،١٤٢٠ه.
- البرهان في علوم لقرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١ دار إحياء الكتب العربية،١٣٧٦ه.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، تحقيق محمد النجار، ط: د، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د:ت.
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، ط: ب، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ط:١، دمشق: دار الفكر،١٤١١هـ.
- تفسير سورة الكهف، محمد بن صالح العثيمين، ط:١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣ه.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:١، الرياض: مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، ط:١، دار هجر، ١٤٢٢ هـ.
- جامع المسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: جماعة، ط:٢، الرياض: دار عطاءات العلم، ١٤٤٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ، عبد الرزاق المهدي، ط:٥، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٣ ه.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية، . ط:١، المغرب: دار المعرفة، ١٤١٨ه.
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ط:٢، مصر: مطبعة مصطفى الحلبي،١٣٩٥ه.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ه.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق مصطفى البغا، ط٥، دمشق: دار ابن كثير،١٤١٤ه.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، ط:٣، بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٧ه.
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، ط١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،١٤٢٤ه.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ط:١، وزارة الأوقاف، ١٤٢٠ه.
- المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، ط٢، جدة: مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي، ١٤٢٩ه.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، ط:٢، الرياض، دار عطاءات العلم، ١٤٤١ه.
- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، ط:٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضليه، ط:٢، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.
- الوجيز في علوم القرآن العزيز، أ.د. علي بن سليمان العبيد، ط٤، الرياض: دار التدمرية،١٤٣٩ه.

References:

١- Ershad Al-aql Assaleem Ela Mazaya Al-ketab Al-kareem, Mohammad Ben Mohammad Abu Saud Al-Emadi, Dar Ehyaa Atturath bAl-Arabi, Beirut.

٢- Asmaa Sowar Al-Quran, Pro, Mohammad Ben Abdul Rahman Ashaye, Dar Konooz Eshbelya, ١٤٣٢.

٣- Adwaa Al-bayan Fi Edah Al-Quran Bel Quran, Mohammad Al-Ameen Ben Mohammad Al-Mukhtar Ashanqeeti, Riyadh, Dar Ataat Alelm, ١٤٤١.

٤- Al-Bahr Al-Muheet Fi Attafseer, Mohammad Ben Yousuf Ibn Hayyan, Investigated by Sedqi Jameel, Beirut, Dar Alfekr,١٤٢٠.

٥- Al-Burhan Fi Oloum Al-Quran Bad Addin Mohammad Bin Abdullah Azzarkashi, Investigated by Mohammad Abu Alfadl Ibraheem, Dar Ihyaa Al-Kutub Al-arabiyya,١٣٧٦.

٦- Basaer Thawi Attamyeez Fi Lataef Al-Ketab Al-azeez, Alfayrouz Abadi, Investigated by Mohammad Annajar, Cairo, LAjnet Ihyaa Atturath Al-eslami.

٧- Attahreer wa Attanweer, Mohammad Attaher Bin Mohammad Ibn Ashour, Addar Atouniseyya Lel Nasher, ١٩٨٤.

٨- Tafseer Almanar, Mohammad Rasheed Reda Alhayaa Almasriyya Alamma Lel ketab,١٩٩٠.

٩- Attafseer Almuneer Fi Alaqeeda wa Ashariah Wa Almanhaj, Wahba Azzuheili, Damascus, Dar Alfekr,١٤١١.

١٠- Tafseer Surat Alkahf, Mohammad Bin Saleh Aletheimeen, Riyadh, Dar Ibn Aljawzi, ١٤٢٣.

١١- Tayseer Alkareem Arrahman Fi Tafseer Kalam Arrahman, Abdul Rahman Bin Nasser Assadi, Investigated by Abdul Rahman Bin Moala Allowayheq, Riyadh, Moasasset Alresala,١٤٢٠.

١٢- Jame Albayan An Taweel Ay Al-Quran, Moahmmad Bin Jareer Attabari, Investigated by Pro, Abdullah Atturki, Dar Hajr, ١٤٢٢.

١٣- Jame Alamsael, Ahmad Bin Abdul Haleem Ibn Taymeya, Investigated by group, Riyadh, Dar Ataat Alelm,١٤٤٠.

١٤- Aljame Le Ahkam Al-Quran, Mohammad Bin Ahmad Al-Qurtobi, Investigated by Abdul Razzaq Almahdi, Beirut, Dar Alketab Alarabi, ١٤٢٣.

١٥- Aljawab Alkafi Leman Saala An Addawa Ashafi, Ibn Alqayyem Aljawziyya, Morocco, Dar Almarefa, ١٤١٨.

١٦- Sonan Atermethi, Mohamad Bin Issa Atermethi, Investigated by Ahmad Shaker, Egypt, Matbaat Mostafa Alhalabi, ١٣٩٥.

١٧- Assehah Taj Allugha Wa Sehah Alarabiyya, Nasr Ismail Bin Hammad Aljawhari, Investigated by Ahmad Attar, Beirut, Dar Alelm Lel Malayeen, ١٤٠٧.

١٨- Saheeh Albukhari, Mohammad Bin Ismail Albukhari, Investigated by Mostafa Albegha, Damascus, Dar Ibn Katheer, ١٤١٤.

١٩- Alkashaf An Haqaeq Ghawamed Attanzeel, Mahmoud Bin Amro Azzamakhshari, Beirut, Dar Alketab Alarabi, ١٤٠٧.

٢٠- Majmo' Rasael Alhafeth Ibn Rajab Alhanbali, Zayn Addin Abdul Rahman Bin Ahmad Bin Rajab, Alfarouq Alhadeetha Leltebaa wa Annasher, ١٤٢٤.

٢١- Almuhtaseb Fi Tabyeen Wojoh Shawath Alqeraat Wa Aledah Anha, Abu Alfath Othman Bin Jenni, Wezaret Alawqaf, ١٤٢٠.

٢٢- Almoharrer Fi Oloum Alquran, Mosaed Bin Soleiman Attayar, Jedda, Markaz Adderasat Be Maahad Alemam Ashatebi, ١٤٢٩.

٢٣- Madarej Assalekeen Bayna Manazel Eyyak Naabod Wa Eyyak Nastaeen, Ibn Qayyem Aljawziyya, Investigated by Mohammad Azeez Shams, Riyadh, Dar Ataat Alelm, ١٤٤١.

٢٤- Mafateeh Alghayb, Mohammad Bin Omar Arrazi, Beirut, Dar Ihyaa Aturath Alarabi, ١٤٢٠.

٢٥- Annaba Alatheem: Nathrat Jadeeda Fi Al-Quran Alkareem, Mohammad Bin Abdullah Darraz, Invetigated by Ahmad Mostafa Fadeela, Dar Alqalam Lel nasher wa Attawzee, ١٤٢٦.

٢٦- Alwajeez Fi Oloum Al-Quran Alazeez, Pro, Ali Bin Suleiman Alobeid, Riyadh, Dar Attadmoriyya, ١٤٣٩.